(الاستجابة لله ورسوله)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن المتأمل في القرآن الكريم يجد دعوة صريحة للحياة السعيدة الطيبة، والنجاة في الدنيا والآخرة، بالاستجابة لله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ) ،ويقول سبحانه : (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، ويقول تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ).

ولا شك أن الاستجابة لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) سبيل المؤمنين الصادقين، الموفقين لشكر نعم الله (عز وجل) باستعمال الجوارح التي وهبها الله إياهم في سماع الحق والاستجابة له، حيث يقول سبحانه: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ).

كما أن الاستجابة شأن الأنبياء المصطفين والملائكة المقربين، فعندما أمر الله (عز وجل) نبيه نوحاً (عليه السلام) بصنع السفينة في الصحراء حيث لا أنهار ولا بحار استجاب لأمر ربه سبحانه، حيث يقول الله تعالى: (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ) ، وعندما أمر الله نبيه إبراهيم (عليه السلام) أن يؤذن في الناس بالحج حيث يقول سبحانه : (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) كانت استجابته (عليه السلام) حين قال لربه (جل وعلا) : ربِّ وما يبلغ صوتي ؟ فقال سبحانه : (أَذَّنْ وَعَلَيَّ الْبَلَاغُ) ، وكذلك حين أمره ربه سبحانه بذبح ولده فكانت الاستجابة والتسليم منه ومن ولده إسماعيل (عليهما السلام) ، حيث يقول سبحانه : (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) .

وقد ضرب صحابة نبينا (صلى الله عليه وسلم) أروع الأمثلة في الاستجابة لله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، ففي حمراء الأسد استجاب أصحاب نبينا (رضي الله عنهم) لأمر الله (عز وجل) ورسوله (صلى الله عليه وسلم) رغم ما أصابهم من جروح وآلام جراء ما حدث يوم أحد ؛ لذلك جاء مدحهم في القرآن الكريم (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ) ، وفي حادثة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة كانت الاستجابة الفورية منهم (رضي الله عنهم) ، حيث استداروا في الصلاة ـ وكانوا يصلون جهة بيت المقدس ـ عندما جاءهم من يخبرهم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أنزل

عليه الأمر باستقبال الكعبة في الصلاة ، وكذلك كانت استجابتهم (رضي الله عنهم) حينما تغير وجه نبينا (صلى الله عليه وسلم) وبدا عليه الحزن من رؤيته قوماً فقراء حفاة عراة ، ودعا أصحابه (رضي الله عنهم) إلى الصدقة قائلاً (تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِن دينارِه، مِن دِرهَمِه، مِن ثَوبِه، مِن صاعِ بُرِّه، مِن صاعِ تَمرِه، حتَّى قال: ولو بشِقِّ تَمرةٍ) فجاء رجل من الأنصار بصرةٍ مِنَ الأنصارِ بصُرَّةٍ كادَت كَفُّه تَعجِزُ عَنها، بَل قد عَجَزَت، قال: ثُمَّ تَتابَعَ النَّاسُ، حتَّى رَأيتُ كَومَينِ مِن طَعامٍ وثيابٍ، حتَّى رَأيتُ وجهَ رَسولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يَتَهَلَّلُ كَأنَّه مُذهَبةٌ، فقال رَسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): مَن سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حَسَنةً، فله أجرُها وأجرُ مَن عَمِلَ بها بَعدَه، مِن غيرِ أن يَنقُصَ مِن أُجورِهم شَيءٌ، ومَن سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً سَيِّئةً، كان عليه وِزرُها ووِزرُ مَن عَمِلَ بها مِن بَعدِه، مِن غيرِ أن يَنقُصَ مِن أوزارِهم شَيءٌ".

وكانت سرعة استجابة صحابة نبينا (صلى الله عليه وسلم) في الانتهاء عن ما حرم كسرعة استجابتهم في طاعة الأوامر سواء؛ فلما نزل قول الحق سبحانه في تحريم الخمر بصورة نهائية قاطعة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) قال الصحابة (رضي الله عنهم): انتهينا يا رب، انتهينا يا رب.

لقد أكرم الحق سبحانه أهل الاستجابة لله ورسوله لهِ (صلى الله عليه وسلم) بالمغفرة التامة والنجاة والجنة يوم القيامة ، حيث يقول الله تعالى: (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)، ولأن الجزاء من جنس العمل فإن الله سبحانه وتعالى يستجيب دعاء من يستجيبون لأوامره، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) ، ويقول تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ).

فما أحوجنا إلى الاستجابة لله (عز وجل) ورسوله (صلى الله عليه وسلم) فهذا سبيل المؤمنين الصادقين حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

وصلي الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه فضيلة الشيخ: مكاوي حسين محمد حسين ـــ مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.